اللهجات واللغة الموحدة المشتركة

الدكتور عبد العباس عبد الجاسم

الملخص :

أفرز اختلاف اللهجات تبايناً وفرْقاً في مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والنحوية، وترتب على ذلك آراء، وأحكام وقف عندها الباحثون وبيَّنوا آراءً، ووجهات نظر نتج عنها بناء قواعد يحتكمون إليها . وقد شخص الدارسون أن معظم تلك الفروق تدور في فلك القوانين الصوتية التي تحكم الأبنية المنطوقة في كل بيئة لهجية. وسلط البحث الضوء على أسباب تلك الفروق وما نتج عنه وعلاقة تلك المتون اللهجية بما يصطلح عليه باللغة المشتركة التي يفهمها متكلمو اللهجات على اختلاف مستوياتهم .

Abstract

Produced differences in variation and dialect difference in the levels of language phonological, morphological, syntactic, and consequent views, and the terms of the cease then researchers and Benoit opinions, and perspectives resulted in the building of naturally as the rules. The person that most of those scholars differences revolve in audio FLAC laws that govern buildings spoken in each environment to methodology. The research highlighted the reasons for those differences and the resulting relationship those texts Allahjah including termed common language that is understood by Mtkelmo dialects at all levels.

تقديم:

لم يكن البحث في موضوع اللهجات بالأمر اليسير الهيِّن؛ وذلك لتشعب دراسته، ووعورة الطريق إليه، ولحاجته إلى دراسات مستفيضة، تتطلب زمناً موغلاً، وسعة في الأرض التي ساد النطق في اللسان المعني بدراستها، ثم إن الدرس اللغوي العربي الحديث لم يحفل به، ولم يكشف عنه بسوى ترديد بعض الروايات الشائعة، والمتناثرة في بطون الكتب؛ موازنة بما أقرَّته النظريات الحديثة في دراسة اللهجات، قديمها وحديثها كما هو شأنه في الدراسات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ولم تحفز صيحة المرحوم "حفني ناصف" همم الدارسين العرب للالتفات إلى هذه الدراسة ، والعناية بها في رسالته الصغيرة الموسومة ب "مميزات لغة العرب" التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في فينا أوائل سنة "١٣٠٤ه"، هذه الرسالة التي اعتمدها الباحث الدكتور إبراهيم أنيس بعد ستين عاماً من تاريخ نشرها جاعلاً إياها منطلقاً لدراسته التي رَجَا لها ألا تذهب بها الرياح سدى داعياً إلى دراسة اللهجات العربية القديمة، واعتمادها دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة، وما امتازت به[1]؛ لأن اللغة متى انتشرت في مناطق واسعة من الأرض تحت تأثير عامل من العوامل الطبيعية، أو الاجتماعية أو السياسية انشعبت إلى لهجات[2]، فضلاً على دراسة تنقلات القبائل العربية قبل الإسلام وبعده، وبيئاتها الاجتماعية، وما خالطت من أمم وشعوب؛ لما لذلك من أثر في اللغة النموذجية لغة الأدب والدين.

اللهجة:

يرى أهل اللغة في معجماتهم أن اللهجة، واللهَجَة لغةً هي: طرف اللسان أو جرس الكلام ، يقال: فلان فصيح اللهجة، واللهَّجَة، وهي لغته التي جُبِل عليها، فاعتادها، ونشأ عليها، واللهجة: اللسان. وفي الحديث الشريف: "ما من ذي لهجة أصدقَ من أبي ذر"[3].

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث: مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة، وهي جزء من بيئة أوسع، وأشمل تضم عدة لهجات تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشاملة هي التي اصطلح عليها باللغة. إذن فاللغة أعمُّ من اللهجة، واللغة تشمل عدة لهجات.

وقد تعدَّدت التسميات عند علماء العربية القدماء، فهم يعبرون عما نسميه بكلمة "اللغة"، حيناً، وب "اللَّحن" حيَناً آخر، فيقولون:
الصقر بالصاد من الطيور الجارحة، وبالزاي لُغة، أو لِغة (بكسر اللام)، كما روي أن أبا المهدي قال في معرض حديثه عن مسألة نحوية: "ليس الطيبُ إلا المسكُ": ليس هذا لحني، ولا لحنَ قومي. ولعل كلمة "لسان" كانت الأشهر في الاستعمال عند العرب القدماء ، وكذلك في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية، ويؤيد ذلك أن التنزيل العزيز استعمل كلمة "لسان" وحدها في معنى اللغة ثماني مرَّات من أصل خمس وعشرين مرَّة وردت فيه. قال سبحانه: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" (إبراهيم/٤)، وقال
سبحانه:"وهذا لسان عربي مبين" (النحل/١٠٣)[٤].
ويرى الدكتور إبراهيم أنيس في تكوّن اللهجات أن هناك عاملين رئيسين يُعزى إليهما هذا الاختلاف، هما:

١- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.
٢- الصراع اللغوي نتيجة غزو، أو هجرات[٥].

في حين يرى الدكتور محمد حسين آل ياسين أن الانعزال حسب، ويعدُّه أهم العوامل ولاسيما في تكون اللهجات العربية القديمة قبل الإسلام؛ إذ إن طبيعة الجزيرة الصحراوية تفرض على الجماعات الانعزال في أماكن يتوفر فيها الماء والكلأ، وهي مواضع متباعدة منتشرة(٣)؛ فلربَّما دفعتهم إلى الصراع حين يشِحُّ المطر، ويجف الكلأ ثم إن هذه الطبيعة الصحراوية تعسر الاتصال بين هذه الجماعات ، فلا تلبث لغتهم أن تستقل بمرور الزمن على شكل لهجات، تميزت بخصائص لغوية إلا أنها تنضوي جميعاً تحت خصائص عامة في اللغة الأم، تلك اللغة التي تعود إليها القبائل حين تجتمع في مكة، أو إذا أرادت أن تنظم، أو تخطب. وقد كان الإسلام الحنيف ذا تأثير بالغ على تقارب بيئات هذه اللهجات،وتململها للتوحد في الإسلام، وما ترتب على ذلك من زيادة اقترابها من النص القرآني المقدَّس وسيطرة لهجةِ قريش، واستئثارها بأكثر نصوص الدين الجديد، وامتداد سيطرتها شيئاً فشيئاً على لغة الشعر والنثر؛ ولكن على الرغم من ذلك بقيت آثار من تلك اللهجات في ميدان التفاهم والتخاطب، ما جعلها تؤثر على اللهجة القرشية في ألسنتهم؛ حتى شابها شيء من التحريف بتأثير بداهتهم الأولى في النطق، الأمر الذي حدا بالدين الجديد أن يُقرأ الكتاب العزيز ببعض خصائص

تلك اللهجات، فنشأت القراءات التي تعد مظهراً من مظاهر اختلاف اللهجات العربية في الدلالة والصوت، والقواعد الصرفية والنحوية، والمفردات وغيرها، وبذا تُعَدَّ الأضداد من أبرز تلك الظواهر.

وقد تنبه القدماء على ما يمكن إن يسببه اختلاف اللهجات من تضاد الألفاظ، فنصوا على هذا المعنى عند تعرضهم لهذه الطائفة من الألفاظ، فقد عَدَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥ ه) لفظة "سجد" بمعناها الشائع، وهو الانحناء، ووضع الجبهة على الأرض، وقال : إنه يعني انتصب في طيء ، لكنها عُدَّت بعده من الأضداد للانحناء والانتصاب ، وكذلك ماذكره ابن دريد (ت٣٢١ ه) من أن "الشعب" تعني الافتراق والاجتماع[٦].

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ ه) في قوله: " وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي قد أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب، والمعنى الآخر غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، قالوا : فالجون: الأبيض في لغة حي من العرب، والجون: الأسود[٧].

الحاجة إلى اللغة الموحدة:

أطبقت اللغة العربية كما نعرفها اليوم على الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي بشكل واسع، وعلى مستوى الإنشاء الفني المتمثل بالشعر الذي ازدهر حينذاك، مستخدماً لغة موحدة راقية إلى حدٍّ بعيد. وقد كُتب لهذه العربية الانتشار في أغلب المناطق التي كانت تشغلها من قَبْلُ اللغات السامية والحامية بدءاً من الجزيرة العربية، وشمالها حتى أسفل الفرات ، وما وراء ذلك وكان ذلك، عن طريق الصراع اللغوي الطبيعي الذي يحدث تلقائياً بين كل لغتين متجاورتين بفعل الاحتكاك المستمر بينهما وتلعب عوامل مختلفة دورها في ترجيح الكفة لإحدى اللغتين ، فيكون لها النصر والاستتباب كما حدث لهذه اللغة العربية مدار البحث(١)؛ ولكن يستوقفنا في دراستنا التاريخ اللغة العربية ظلام دامس؛ إذ ليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع بنا إلى تلك العهود، فأقدم ما عُثِر عليه من نصوصها لايكاد يتجاوز القرن الثالث الميلادي؛ غير أن هذا لايعني أن العربية لم تكن موجودة قبل المسيحية، أو أحدث من شقيقاتها السامية، وإنما فيها من العناصر القديمة التي ترجع بها إلى السامية الأم أكثر من غيرها إذ فيها من الأصوات ما ليس في غيرها، وفيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل، وفيها صيغ

لجموع التكسير؛ لكن لم يطرأ عليها تغيرَ فاعل كغيرها من الساميات الأخرى كالعبرية مثلاً، والتي تحوَّلت من لغة نصوص دينية إلى لغة شعب أضحى يكتب، ويطور ما لديه أكثر مما هو متوقع، ويرجع السبب إلى انعزالها في شبه الجزيرة العربية، واقتصار تطورها ، أو تغيرها على ظواهر قليلة، موازنة بشقيقاتها، بدليل شيوع الأمية فيها، فالعرب قبل الإسلام لم يكونوا أهل كتابة وقراءة، وأقدم نصوص العربية على ما هو مألوف لا يكاد يتجاوز قرنين من الزمان، وهو ما يطلق عليه تسمية الأدب الجاهلي أما، النقوش فلم ترق إلى المستوى المطلوب كغيرها، وإنما اقتصر على اسم، أو تاريخ حسب، أي: إنها لم تكن تعادل سفراً صغيراً من أسفار العهد القديم[٨].

فنقش النمرة الذي يرجع تاريخه إلى سنة ٢٢٨ بعد الميلاد لا يمكن أن يكون مادة مفيدة تفصح عن تاريخ العربية، ثم إن العربية التي اكتشفت نصوصها في نقوش اليمن لايمكن أن تكون بداية للعربية المعروفة، وذلك للبون الشاسع الذي يفصل العربية المعروفة في الشعر الجاهلي عن هذه العربية الموجودة في نقوش اليمن[٩].

لقد ولَّد هذا الانعزال لهجات مستقلة ذات صفات خاصة، تميزت بها القبائل العربية قبل ظهور تلك العوامل السياسية التي أدت آخر الأمر إلى ظهور الإسلام، فلما دعت الحاجة إلى اتصال تلك القبائل في مواسم الحج قبل الإسلام، وإلى عقد تلك المؤتمرات الثقافية التي سميت بالأسواق بدأت الحاجة إلى وسيلة للتفاهم والتقارب والوحدة، وليس هناك مثل اللغة تجمع شملهم، وتلم شتاتهم[١٠]، وتقوي وحدتهم، فكانت "مكة" مركزاً لتلك الوحدة، وكانت "عُكاظ"، و"المجنَّة"، و"ذو المجاز"، وخيبر" أسواقاً للمناظرات، والمساجلات، وحتى يؤدي الخطيب رسالته كاملتة واضحة كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجةٍ من اللهجات ويتحدث بلغة تواضعوا عليها، خالية من العنعنة، مثل قراءة التنزيل: "عتَّى حين" والعجعجة عند قضاعة، كما في قولهم: راعج خرج معج، وطمطمانية حمير، كما في: ليس من امبرّ امصيام في امسفر[١١]. والكشكشة في قول الشاعر: (الطويل):

فعيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدها ولكن عظم الساق منش رقيق

وخصها ابن دريد (-٣٢١) في مخاطبة المؤنث[١٢](٢). فكانت اللغة النموذجية لغة الخاصة من الناس، اللغة الفصحى التي كان الشعراء العرب من أقصى الأرض العربية إلى أقصاها ينظمون بها قصائدهم[١٣].

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن الفصحى كانت حاضرة بجوار اللهجات العربية الأخرى غير أنه يبحث عن نشأتها، ولكن من غير نصوص تكون بين يديه تساعده على تحديد الوقت الذي نشأت فيه، أما مكان نشأتها، فأشار إلى أحتمالات أربعة هي:

١- غرب الجزيرة، أي منطقة الحجاز.
٢- شرق الجزيرة، أي : منطقة غرب الفرات.
٣- أواسط الجزيرة، أي: منطقة نجد واليمامة.
٤- جنوب الجزيرة، أي: منطقة اليمن والجنوب العربي.

ولعل المنطقة الشرقية هي صاحبة الحظ الأوفر في نشوء الفصحى لديها لأنها أقدم حضارة من سواها من المناطق، ففيها نشأت مملكة الحيرة ، ولها مركزها الحضاري المعروف، كما وُجدت فيها أول آثار الشعر الجاهلي التي قيلت في حرب البسوس.أما المنطقة الوسطى فيحتج بعضهم على أن الفصحى قد نشأت فيها بما هو معروف من أن جامعي اللغة كانوا يخرجون إلى بادية نجد، واليمامة، ليجمعوا متنَ اللغة، وليحتجوا على آرائهم النحوية بما يقوله أهلها وإذا كان الأمركذلك فإن هذا دليل على تركز الفصحى ونقاوتها في هذه المنطقة[١٤].

إن الوحدة اللغوية التي بدأت قبل ظهور الإسلام، ونموها وازدهارها كان موضع فخر واعتزاز عند أولئك الذين أتقنوها، وتفننوا في نواحي القول بها وإن كانت هذه الوحدة تقل في النثر عمَّا هي عليه في الشعر؛ لطبيعة الشعر وقيود تفعيلاته[١٥])، فإن القرآن الكريم قد تحدَّى أولئك الذين كرَّسوا حياتهم على نواحي القول؛ لبيان إعجازه، وسموِّ لغته العربية الفصحى، تحدَّاهم بالسورة، قال سبحانه:"وإن كنتم في ريب مما نزَّلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله" (البقرة/٢٣)، وقال سبحانه: "قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات" (هود/١٣).

ومن الجدير بالذكر أن العلماء لم يهملوا شأن اللهجات إلى جانب اللغة الأدبية الموحدة، على الرُّغم من أنهم اعتمدوا في دراستهم على لغة أو لهجة قبائل معينة، هي: قيس، وأسد، وتميم، وهذيل، فإنهم سواء في جواز الأخذ عنهم، والاحتجاج في أقوالهم. وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غيرها جاء به خيراً منه[١٦].

القرءات القرآنية واللهجات:

جاء زيد بن أرقم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أقرأني ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبيٌّ بن كعب فاختلفت قراءاتهم فبقراءة أيِّهم آخذ؟ فسكت الرسول الكريم، وعلي عليه السلام إلى جنبه فقال كرم الله وجهه: ليقرأ كلُّ إنسان منكم كما علم فإنه حسن جميل.

يستفاد مما تقدَّم أنه عليه الصلاة والسلام وآله كان يجيز قراءات الناس، ولاينكرها عليهم، متى كان موضع الخلاف فيها لهجات ألسنتهم، وما تعودوه من طريقة النطق ، وعلى وجه الدقَّة من الناحية الصوتية، ما يكشف عن صحة الحديث الشريف، ومفادها: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، وما ورد في الأثر عن الرسول الكريم أن قد أتاه جبريل، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرف، فقال عليه الصلاة والسلام وآله: أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لاتطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف. وقد دعا الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن يوسع من دائرة القراءة باللهجات غير العربية ايضاً، لتشمل لهجات المسلمين في جميع بقاع الارض، فإذا قرأ الهندي القرآن، ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية وجب ألاَّ ننكر عليه قراءته فهو يرى أن الرقم سبعة لايعني الرقم الذي يلي الستة على ماهو ظاهر وإنما هو رمز للسعة، وحدَّد ذلك في الصوت لاغير، مثل الجهر والهمس، والرخاوة والشدَّة، أو تباين في موضع النبرة[١٧].

لكن ذلك يحتاج إلى تأمل وإعادة نظر فيما طرح الباحث؛ لأن الأثر الصوتي في القراءة ذو أثر فاعل يؤدي إلى تغيير في دلالة المفردة من خلال نطق الصوت، وهو ما يخفي من معاني المفردات المؤلفة للجملة والتراكيب.

لقد أفرز اختلاف اللهجات في القراءات القرآنيَّة آثاراً ترتب عليها وضع صوتي ترك أثره فيها، وهي:

أ- الفتح والإمالة، وهما صوتان من أصوات اللين، قَصُرا أم طالا، ونقصد بهما الحركات، وحروف المد، وقد نسب الفتح إلى أهل الحجاز، والإمالة إلى قبائل نجد. وقد سمع الرسول الكريم يقرأ: "يا يحيى" بالإمالة، فقيل له: يا رسول الله تميل، وليس هي لغة قريش، فقال: هي لغة الأخوال بني سعد[١٨]. ولعل الفرق بين الإمالة والفتح هو أن الفتح يعد تطوراً في اللهجة، أما الإمالة التي هي أقدم حين تكون الياء أصلية في الكلمات، فيرى الباحثون أن السرَّ في احتفاظ البدو بهذه الظاهرة دليل على عصبيتهم.

ب-الإدغام، أو ما يسمى المماثلة، وهو تأثير الأصوات بعضها ببعض حين تتجاور، والناتج عن التشابه في المخرج والصفة. والإدغام قسمان: كبير وقد نسب إلى أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤ه)، وصغير، حيث يتجاورالصوتان الساكنان دون فاصل من أصوات اللين. والإدغام ظاهرة صوتية، تحدث في البيئات البدائية، حيث السرعة في نطق الكلمات، ومزجها، مثل : مَدَّ وشدَّ، وكذلك مثل: جَعَلَ لك، وجَعَلْ لك[١٩]. وقد عرفت تميم بالإدغام في مثل:"محُّم" بدلاً من "معهم"، و"فزد" بدلاً من "فزت" وفي ودّ بدلاً من "وَتِد" وقد ورد ذلك في التنزيل العزيز بنوعيه الإظهار، وكذلك الإدغام، في قوله سبحانه: " من يحلل عليه غضبي" (طه/٨١)، وقوله سبحانه:" من يرتدَّ منكم عن دينه" (المائدة/٥٤). لذلك لم تعد هذه الظاهرة من ظواهر الفرق بين اللهجات في اللغة العربية الأدبية؛ بل أضحت ظاهرة من ظواهر الفرق الصوتي في نطق المفردات بين القبائل.

ج- الهمز، للهمزة،أو الهمز حكم خاص يخالف جميع الأصوات الأخرى، لأنها صوت ليس بالمجهور، ولا بالمهموس، وهي أكثر الأصوات الساكنة شدة، وعملية النطق بها، هي محققة من أشق العمليات الصوتية؛ لذلك مالت كلُّ اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق. فليس غريباً أن يتخلص منها أيضاً معظم الحجازيين ، وقد حققها العراقيون الذين عُرِفوا بالتسهيل، من إدغام، وإمالة؛ وعليه أصبح ممكناً أن ننسب تحقيق الهمزة إلى اللغة الأدبية النموذجية؛ على أن ظاهرة الهمز من تحقيق، أو تسهيل كانت في أصلها من الأمور التي فرَّقت بين لهجات وسط الجزيرة وشرقيها، وبين لهجات البيئة الحجازية، فلما نشأت اللغة النموذجية اتخذت تحقيق الهمز صفة من صفاتها، وشاع بين الخاصة في جميع القبائل العربية ولما جاء الإسلام وجد تحقيق الهمز صفة من صفات الفصاحة، وإن ظلت شائعة في اللهجات البدوية، كلهجة تميم، ومن على شاكلتهم، وقد رُوي عن عيسى بن عمر الثقفي (-١٤٩ ه)[٢٠] أنه قال: لا آخذ من قول تميم إلا بالنبر، أي:تحقيق الهمز.

٢- خلاف اللهجة في المستويات اللغوية:

لقد أفرز اختلاف اللهجات تبايناً وفرْقاً في مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والنحوية، وترتب على ذلك آراء، وأحكام وقف عندها الباحثون وبيَّنوا آراءً،

ووجهات نظر نتج عنها بناء قواعد يحتكم إليها الباحثون والشداة ويبنون عليها ما يصدر من نتائج، تقترب من الحقيقة، وقد لا تكون قريبة من ذلك، وأهم هذه النتائج عن اختلاف اللهجات.

الاختلافات في الصوت:

١- الاختلاف في السين والصاد والزاي، مثل: سراط، وصراط، وزراط... فالصاد لغة قريش ، وإشمام الصاد زاياً لغة قيس، والسين لغة عامة العرب غير قريش، والزاي لغة عذرة وكعب، وبني القين.

٢- الاختلاف في القاف والكاف، فبعض العرب ، ومنهم تميم يلفظون القاف صوتاً بين القاف والكاف، ومنه قول الشاعر: (البسيط)

ولا أكول لكدر الكوم كد نضجت   ولا أكولا لباب الدار مكفول

٣- الاختلاف في الفتح والكسر، كما في "نستعين" فقد نقل ابن فارس (ت ٣٩٥ ه) عن الفراء (ت ٢٠٧ه) أنه قال: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد، وغيرهم يقولونها بالكسر. ويذكر القرطبي أن كسر النون في نِستعين لغة تميم ، وأسد، وربيعة، وكان قد قرأها يحيى ابن وثاب، والأعمش[٢١].

٤- الاختلاف في الحركة والسكون ، كما في "مَعْكم" ، "مَعَكم"، فبعض القبائل يفتح العين، وبعضهم الآخر يسكنها.

٥- الاختلاف في التخلص من التقاء ساكنين، فبعضهم يتخلص بالكسر، وبعضهم الآخر يلجأ إلى الضم، مثل قوله سبحانه : " واشتروُا الضلالة بالهدى" (البقرة/ ١٦)، والأكثر بالكسر"واشتروِا الضلالة..."

٦- الاختلاف في الإبدال والإدغام، كما في : المهتدون، والمهدّون.

الاختلاف في الأبنية الصرفية:

١- الاختلاف في صورة الجمع، مثل: أسرى، وأسارى جمع أسير، وسُرُط وأسراطة في جمع سراط. وحمر وأحمرة في جمع حمار، مثل قوله سبحانه: "كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرَّت من قسورة" (المدثر/٥٠-٥١).

٢- الاختلاف في الزيادة، مثل: انظر، وأنظور.

٣- الاختلاف في الحذف والإثبات، مثل: استحييت، واستحيت ، بياءين لغة أهل الحجاز، ومنه قوله سبحانه:" تمشي على استحياء" (القصص/٢٥)، وبياء واحدة لغة تميم، وبكر بن وائل.

٤- الاختلاف في التقديم والتأخير، مثل: جذب، وجبذ، وهما بمعنى واحد، وكذلك: الصاعقة، والصاقعة.

٥- الاختلاف في بعض الأسماء، مثل الاختلاف في اسم الروح الأمين، فأهل الحجاز يقولون، جِبريل، بكسر الفاء في (فِعليل)، وتميم، وقيس، وكثير من أهل نجد يقولون: جبرَئيل[٢٢].

الاختلاف في الإعراب:

قد يلجأ النحويون في عرض مسائلهم التي يعترضها إشكال معين ناتج عن التردد بين أثر معنوي، أو لفظي، فيحاول تخريجها على رأي قبيلة خاصة، وبعضهم الآخر يتأولونها على رأي آخر رُوي عن قبيلة أخرى، وكل من الفريقين يتمسك برأيه، ويتعصب له وقد نجد الإشارة لصفات اللهجات في الروايات الأدبية، أو حين التحدث عن قبيلة من القبائل العربية[٢٣]. ولم يذكر سيبويه (ت ١٨٠ه) إلا العدد العدد القليل من تراكيب اللهجات، إذ كان يُدخل التعبيرات اللهجية أما في لهجة الحجاز، وأما في لهجة تميم لاغير[٢٤]. وفيما يلي بعض من هذه الاختلافات:

١- ينصب الحجازيون خبر ليس مطلقاً، ولكن بني تميم يرفعونه إذا اقترن بإلا حملاً على "ما"، فمثال الأول قوله سبحانه: "ليس البِرَّ أن تولوا وجوهكم قبلَ المشرق والمغرب" (البقرة/١٧٧) ، والثاني قولهم: ليس الطيب إلا المسك وليس ملاك الأمر إلا طاعةُ الله ، برفع"طاعة" . وقد جاء في الأثر أن أبا عمرو بن العلاء (ت١٥٤ ه) قال في معرض ردِّه على عيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩ه) هيهات، نمت وأولج الناس ، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا تميمي إلا وهو يرفع، والكلام موصول بحادثة أبي المهدي الذي لا يرفع خبر ليس.

قسم النحويون "ما" النافية إلى حجازية ، وتميمية ، وخبرها منصوب عند الحجازيين ومرفوع عند التميميين. وقد وضع الحجازيون شروطاً لنصب "ما".

٢- ينصب الخبر بعد "إن" النافية في لهجة أهل العالية، ويرُوى أنه سُمع من بعضهم قولهم: إن أحدٌ خيراً من أحد إلا بالعافية. وقول الشاعر: (المنسرح)

إن هو مستولياً على أحد إلا على أضعف المجانين

وقول الآخر : (الطويل)

إن المرء ميتاً بانقضاء حياته   ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا[٢٥](١)

٤- بنو أسد يصرفون ما لا ينصرف ، وذلك في الاسم الصفة، وزيادة الألف والنون ، فيقولون: لست بسكران.

٥- لهجة تميم تنصب تمييز "كم" الخبرية، ولهجة غيرهم توجب جرَّة، وتجيز إفراده وجمعه، فبنو تميم يقولون:كم درهماً أنفقت! وغيرهم يقولون: كم درهمٍ أنفقت! اللإخبار، ولهذا كان قول الفرزدق: (الكامل).

كم عمةٍ لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليَّ عِشاري

موضع نقاش وجدل بين النحويين.

٦- "لعلَّ" تعمل الجرَّ في اسمها عند عقيل، كما في قول الشاعرهم : (الوافر):
لعلَّ اللهِ فضلكم علينا

٧- وتعمل "متى" عمل "من" الجارَّة عند هذيل، قال شاعرهم:(الطويل)

شربن بماء البحر ثم ترفَّعت متى لجج خُضْرٍ لهن نئيجُ

٨- نصب الاسم والخبر بعد "ليت" لغة تميم، أو رؤبة الذي هو من تميم[٢٦](١).

٩- الاختلاف في إعراب " أمس" فهي مبنية عند أهل الحجاز، ومرفوعة عند تميم في حالة الرفع إذا وقعت، كما في قولهم: ذهب أمسُ بما فيه.

١٠-الاختلاف في المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد ، تقدَّم الفعل، أو تأخر فبنو الحارث يلتزمون بالمطابقة، وهي اللغة المسماة لغة أكلوني البراغيث، وقد ورد في التنزيل العزز: " وأسرُّوا النجوى الذين ظلموا" (الانبياء/٣)، كما جاء في الحديث الشريف: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار".

١١-الاختلاف في استعمال المثنى بالألف مطلقاً، كما جاء في التنزيل: "إن هذان لساحران" (طه/٦٣) ، وقول الشاعر: (الطويل)

وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمَّما

وذكر الفرَّاء استعمال بني الحارث بن كعب، وخثعم، وبني كنانة لهذا الاطلاق[٢٧](٢). على أن الدكتور إبراهيم أنيس رفض أن يكون اختلاف اللهجات العربية هو السبب في هذه الاختلافات النحوية ، وعدَّه من صناعة النحويين حين اشتدَّ الجدال بينهم ومحاولة كل فريق ان يأتي بجديد، ولم يعدَّ اختلاف اللهجات في الصوت، ولا في الابنية الصرفية من الصناعة اللغوية، ذاكراً عدم التزام لهجات القبائل بالإعراب على الصورة التي ذكرها النحويون، وإنما جعله مقصوراً على اللغة الأدبية[٢٨](١). غير أن هذا الإعراب الذي رفضه الأستاذ الراحل إبراهيم أنيس قد التزمه التنزيل العزيز في التلاوة، وقد شدَّد العرب المسلمون على نطقه، وزاده الدؤلي (ت ٨٩ هـ) ضبطاً ونطقاً في نقطه له، وما هذه الحركات الثلاث إلا من لسان العرب المبين، قد استقاه النحويون من مشافهة العرب في أثناء حصر اللغة وإحصائها، معتمدين ذلك في منهجهم الوصفي الذي بنوا عليه قواعدهم ، وهو ما يدفعنا إلى القول بالتفريق بين

النحو وسيلة ومهارة توارثتها الأجيال عِبْرَ لهجاتهم، واستلهموها من ألسن أمهاتهم، واستمعوا لها في نواديهم، وبين علم النحو قاعدة انتهجها أهل اللغه لحماية سياق العربية، والمحافظة على المفردة؛ لارتباط الإعراب بالمعنى لانه فرع المعنى؛ لأنه فرع المعنى ثم إن الإعراب ضرورة في لغة مختارة من بين كل لغات العام السابقة واللاحقة لفكر سماوي منزه ، أقر الإعراب من خلال حفظة للغة العربية التي اكتسبت قداستها من الذكر الحكيم، فكان لابُدَّ للباحثين في أروقتها من أن يحفلوا بها ويحافظوا عليها ، ويحتاطوا في نطق مفرداتها أن تكون على وفق سياقٍ نحوي، يعي المفهوم من خلال النطق.

الخاتمة

على الرغم من تعدد المصطلحات العربية لموضوع النطق الذي يحمل المعنى في العربية بين اللهجة واللغة واللحن واللسان يَظل مصطلح اللهجة الأكثر استعمالاً وشيوعاً بين أهل اللغة ، بحيث تكون "اللغة" تشمل أكثر من لهجة للأسباب البيئية وظروف العيش الصعب الذي أدَّى إلى تعدَّدها نتيجة الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، والصراع اللغوي نتيجة غزو ، أو هجرات ، واختلاف الباحثين في الأسباب؛ لكن العربية استطاعت إبداع اللغة الموحدة التي اتحَّد العرب من خلالها في الوقت الذي يظل التنزيل العزيز القرآن صاحب القدح المعلى في توحيد لغة العرب ، وما تعدَّد القراءات إلا نتيجة بقاء بعض المفردات اللهجية وكذلك الأصوات، وما نتج عنها من إمالة وإدغام ومدٍّ وإشمام من دون الرضوخ إلى أن ظاهرة الإعراب من صناعة النحويين ذلك لأن بعضاً من اللغات الأخرى السامية شقيقة العربية كانت على معرفة بظاهرة الرفع والنصب والجر، ثم إن الأعراب في العربية يؤيد رأي الباحثين من أن العربية أقدم لغة عرفها ابن الجزيرة قبل أية لغة اخرى. إن اللغة لهجة ثبتت أمام التحديات، ماتت أمامها لهجات كانت تصاحبها ، لتولد عنها لهجات أخرى متعددة.

المصادر والمراجع

- **فوق المصادر ... القرآن الكريم.**
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م.
- الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤ م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت٦٧١هـ)، ط٣، مطبعة دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م. القاهرة.
- الخصائص، ابن جني (ت٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان (د.ت).
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، ط١، مطبعة دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٠ م.
- علم اللغة،د.علي عبد الواحد وافي، ط٤، مطبعة مكتبة نهضة مصر، القاهرة١٥٧م.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٦، مطبعة مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م القاهرة.
- الفكر الصوتي عند ابن دريد والكوفيين، د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة دار الشؤون الثقافية الموسوعة الثقافية (٥١) ، (د. ت).
- في اللهجات العربية، د.إبراهيم أنيس، مطبعة مكتبة الإنجلوا المصرية، القاهرة (د.ت).
- قضايا نحوية، د. مهدي المخزومي (-١٩٩٣م) ، منشورات المجمع الثقافي ،أبو ظبي، دولة الإمارات العربية، ٢٠٠٣ م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت٧١١ هـ) ، ط٣، مطبعة دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- محاضرات في اللغة، د.عبد الرحمن أيوب، ط١، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٥ م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبد الصبور شاهين، مطبعة مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ١٩٨٠م.

الهوامش

---

١ في اللهجات العربية، ٢٠، د. إبراهيم أنيس.
٢ علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي.
٣ لسان العرب، ١٣/ ٢٤١، باب: لسن، ابن منظور.
٤ في اللهجات العربية، ٢٠، د. إبراهيم أنيس
٥ الأضداد، ١١٦، محمد حسين آل ياسين
٦ الأضداد، ١١٦، محمد حسين آل ياسين.
٧ الأضداد، ١١-١٥، محمد بن القاسم الأنباري
٨ في اللهجات العربية، ٣١، د. إبراهيم أنيس
٩ الأضداد، ١٥، محمد حسين آل ياسين
١٠ في اللهجات العربية، ٣٥، د. إبراهيم أنيس.
١١ فصول في فقه العربية، ١٢٨، د. رمضان عبد التواب
١٢ الفكر الصوتي عند ابن لادريد، ٢٩، د. خليل العطية.
١٣ محاضرات في اللغة، ٥٦، د. عبد الرحمن أيوب
١٤ محاضرات في اللغة، ٦٧-٦٨،، د. عبد الرحمن أيوب
١٥ الدراسات اللغوية عند العرب، ٣٠، محمد حسين آل ياسين
١٦ الخصئص، ١٢/٢، ابن جني
١٧ في اللهجات العربية، ٤٩، د. إبراهيم أنيس.
١٨ في اللهجات العربية، ٥٣، د. إبراهيم أنيس.
١٩ المنهج الصوتي للبنية العربية، ٢٠٥، د. عبد الصبور شاهين
٢٠ في اللهجات العربية، ٦٩، د. إبراهيم أنيس
٢١ الجامع لأحكام القرآن، ١٤٦/١، القرطبي.
٢٢ - الدراسات اللغوية عند العرب، ٣٣٥، محمد حسين آل ياسين
٢٣ في اللهجات العربية، ٧٣، د. إبراهيم أنيس
٢٤ محاظات في اللغة، ٥٧، د. عبد الرحمن أيوب
٢٥ قضايا نحوية، ١١٨، المخزومي.
٢٦ - في اللهجات العربية، ٧٥، إبراهيم أنيس.
٢٧ الدراسات اللغوية عند العرب، ٣٣٧، محمد حسين آل ياسين
٢٨ في اللهجات العربية، ٧٥، د. إبراهيم أنيس.